"في التسليم للعترة الطاهرة"

الأُسلوبية في أقوال الإمام علي الهادي عليه السلام

Imam Al-Hadi Speeches (peace be upon him)

(Stylistic Approach)

أ.د. كريمة نوماس المدني

Prof. Dr. Kareema Numas Al-Madani

العراق/ جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية

Dept of Arabic\ College of Education for Humanist Sciences,
University of Karbala\Iraq

Ali7474@yahoo.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

الملخص

تعد خطابات وأقوال أهل البيت عليهم السلام خطابا تأسيسيا وتبليغيا لما تحتويه هذه الخطابات من ابلاغ نفعي وتشكيل جمالي ضمن آليات معرفية،كما أنه يمثل مجالا للتفاعل الخطابي الفكري بين الباث والمتلقي بتنوع السياقات الدينية والاجتماعية والسياسية والتربوية والثقافية ، ومن هنا شكلت أقوال الإمام علي الهادي عليه السلام خطابا فاعلا دينيا وثقافيا لكل الانسانية .

ولقد ارتأينا أن ندرس خصائص الأسلوب في أقوال الإمام الهادي عليه السلام وقد قسم البحث على خمسة محاور رئيسة، تمثل المحور الاول بالتجنيس الصوتي والمحور الثاني بأسلوب التكرار والمحور الثالث التضاد وفي المحور الرابع التوازي وفي الخامس أسلوب الأمر

ثم تلت هذه المباحث خاتمة وثبت المصادر والمراجع

Abstract

As foundation brick and promulgation the speeches of the infallibles are considered since they cuddle edification and aesthetics in the orbit of knowledge. Moreover there is a line of intellectual discoursal response between the addresser and the addressee under the shade of diversity religious, social, political, educational and cultural, thus such speeches heave into importance as a cultural religious efficacious discourse to all humanity.

It is crucial to study the features of imam Al-Hadi speeches in five sections ; the first focuses on sound poetics , the second doers on style of repetition , the third does on repetition , the fourth does on parallelism and the fifth does on imperatives . Finally there are a conclusion and references .

لمحات من حياة الإمام الهادي عليه السلام

عاصر الإمام الهادي عليه السلام ستة من الحكام العباسيين وهم: المعتصم، والواثق، والمتوكل، والمستنصر، والمستعين، والمعتز، وقد تزامنت إمامته التي استمرت أربعاً وثلاثين سنة مع عصر كانت قد أثرت فيه الدعايات الكاذبة لبني أمية وبني العباس ضد اتباع أهل البيت عليهم السلام.

وكان الإمام الهادي عليه السلام يتعرض لضغوط حكّام عصره، من جانب وعامة الناس من جانب آخر، وفي ظل تلك الظروف استدعاه المتوكل العباسي من المدينة الى بغداد، وفرضَ عليه اقامة جبرية وسجنه بل انه هَمَّ بقتله.

وفي ظل هذه الاوضاع بدا أنه من غير الممكن اقامة حلقات التدريس والمجالس الصغيرة والكبيرة لإرشاد اتباعهم وفي اثناء ذلك كانت المناظرات والاحتجاجات بين علماء العصر وفقهائه وبين الإمام عليه السلام هي التي كانت تضيء بصيصاً من النور في ذلك المجتمع الذي خيّم الظلام على ارجائه، وتكشف النقاب عن الحقيقة ، وكانت هذه المناظرات يقيمها المتوكل بهدف تحطيم شخصية الإمام عليه السلام ولكنها كانت دوماً تتمخض عن نتائج عكسية: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾. آل عمران الآية (٥٤). ولم يكن يجني منها شيئاً سوى الفضيحة له ولحاشيتِهِ فيما كانت تعود بالرفعة للإمام عليه السلام ونظراً للتوتر والخناق السياسي الشديد الذي كان يسود المجتمع آنذاك، فقد كان الإمام عليه السلام يرشد الشيعة في هذه الأحداث الصعبة والأزمات

السياسية والثقافية بإقامة تنظيمات الوكالة واللقاءات السرية والمراسلات، وكان الناس يمدوّن جسور التواصل معه عليه السلام عبر الارتباط بالوكلاء وطرح الاسئلة عليهم أما بالمراسلات، اوشفويًا احياناً وبذلك يحلون مشاكلهم، ويعرفون وظائفهم العلمية.

وكان الإمام الهادي عليه السلام يعلّم الناس طريقة الرجوع الى الوكلاء بهدف إعدادهم لعصر الغيبة، لذا نجد في هذه المدة من الزمان رسائله كثيرة.

وقد كان الإمام عليه السلام يستخدم ألقاباً عديدة حسب ما يقتضيه الوضع السائد فقد كان معظمه سريّاً بشكل من الأشكال، وهو ما يدل على التوتر الذي كان يسود عصره، حيث يمكننا الاشارة في هذا المجال الى الالقاب الاتية: النقي، والهادي، والعسكري، والمرتضى والناصح، والعالم، والفقيه، والدليل، والطيبّ، والأمين (المؤتمن)، والنجيب، والمتقي، والمتوكل، والرجل، والشيخ، وصاحب العسكر، والعبد الصالح، كما ذُكرت له كنيتان هما: أبو الحسن وأبو الحسن الثالث.[1]

المحور الأول: التجنيس الصوتي:

يُعد الجناس أحد أسس الأسلوبية الصوتية البارزة التي يقوم عليها الايقاع الداخلي للخطاب الأدبي، وهو من المنبهات الاسلوبية التي ترتكز على القيم الصوتية الخالصة التي تفرز ايقاعات معينة ذات تناسب صوتي أو دلالي.[٢]، اذ إنه يمنح النصّ تناسباً إيقاعياً عبر تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى.

واذا كان جوهر الجناس يقوم أساساً على الاشتراك اللفظي، فإن القدماء- من البلاغيين والنقاد- لم يبتعدوا عن هذا المعنى في تحديده الاصطلاحي؛ لذا قالوا فيه: ((ان يكون اللفظ واحداً والمعنى مختلفاً، اي يتفق اللفظان المتجانسان في أنواع الحروف واعدادها وهيئاتها وترتيبها، وربما اتفقا في بعض هذه الأمور واختلفا في بعضها الآخر)).[٣]

ويمكن القول ان بنية الجناس تقوم على مستويين:

أولها: البنية السطحية:

وهي تمثل (البنى الصوتية المتماثلة) التي تتشكل عبر التوافق الصوتي بين الألفاظ.

ثانيها: البنية العميقة: (البنى الدلالية غير المتماثلة) التي تتحقق عبر التحالف الدلالي.[٤]

وهنا يؤدي المتلقي دوراً بالغ الأهمية في انتاج الدلالة التجانسية عبر استحضار حاسة التوقع عنده، وهو توقع يقتضي ان ينتج التماثل السطحي، تماثلاً عميقاً، فقيمة الجناس تكمن في الموسيقى المائزة المتولدة من التداخل الصوتي بين الدالين الذي يقوم بدورِهِ في إحداث التداخل الدلالي.[٥]

لقد استثمر الإمام الهادي عليه السلام امكانات الجناس الصوتية في مكاتباتِهِ وأدعيته، بوصفِهِ أحد عناصر الايقاع المؤثر في المتلقي، فمن أمثلة ذلك، ما وَرَدَ في قولِهِ عليه السلام

عندما سئل عليه السلام عن التوحيد، فأجاب:

((لم يزل موجوداً، ثم كوّن ما أرادَ، لا رادَّ لقضائِهِ، ولا معقبّ لحكمِهِ، تاهت أوهام المتوهمين، وقصر طرف الطارفين، وتلاشت أوصاف الواصفين، واضمحلت اقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنِهِ، او الوقوع بالبلوغ على عُلوّ مكانِهِ، فهو بالموضع الذي لا يتناهى وبالمكان الذي لم يقع عَليه عيون بإِشارة، ولا عبارة، هيهات، هيهات)).(٦)

نجدُ في هذا النصّ ان الجناس يتحقق على مساحة واسعة (اوهام المتوهمين، طرف الطارفين، أوصاف الواصفين) إنّ ورود هذه الجناسات في النصّ أسهم برفد الإيقاع الداخلي بتناغم الدوال فيما بينها، وعزز من قوة التأثير الموسيقي لدى المتلقي، كما كان له الأثر في تقوية الدلالة فالجناسات جميعها جاءت منسجمة مع غرض المكاتبة في التوحيد والبقاء للوجود الإلهي.

وقد أسهم في تثبيت هذه الصورة في ذهن المتلقي توظيف الإمام عليه السلام الأفعال التي تفاعلت مع الجناسات الواردة في (تاهت، قصر، تلاشت) لتدلّ هذه الأفعال دلالة لا مراءَ فيها على انها تستجلب تكثيفاً دلالياً في الدوال المتجانسة.

ومن أمثلة ذلك ايضاً كتابه عليه السلام الى احمد بن اسحاق حين سأله عن الرؤية، وما اختلفت فيه الناس، اذ كتب عليه السلام ((لا تجوز الرؤية مالم يكن بين الرائي، والمرئي هواءٌ لم ينفذه البصَرُ، فإذا انقطع الهواء عند الرائي والمرئي لم تصح الرؤية، وكان في ذلك الاشتباه، لأن الرائي متى ما ساوى المرئي وجب الاشتباه، وكان ذلك في التشبيه؛ لأن الأسبابَ لابدَّ من اتصالها بالمسببات)).(٧)

ان التجانس الاشتقاقي الحاصل بين الألفاظ (الرائي، المرئي، الرؤية) (الاشتباه، التشبه) و(الأسباب، السبب، المسببات) أضفى على النصّ توافقاً ايقاعياً من شأنِهِ أن

يثري الصلة الدلالية للجناس، اذ بلغَ فيها الاتفاق الصوتي مبلغاً كبيراً، يتضح عبر نسبة التردد الصوتي الذي بلغ ارتفاعاً ملحوظاً في الايقاع أيضاً، فالجناس ضرورة بنيوية وخاصة ايقاعية ودلالية تجعل النص حافلاً بوظيفة الإمتاع بموازاة اضطلاعه بوظيفة الإبلاغ[٨] مما يزيد من تأثيره في موسيقى النصّ من جهة، وفي قوة الدلالة من جهةٍ أخرى. وهذا يدلّ على ثقافة الإمام في اختيار الالفاظ المتجانسة ومقدرته الكلامية ومواءمتها وانسجامها وأثرها الفاعل في نقل الاحاسيس والمشاعر لتهيئ نفسية المتلقي لاستقبال مضامين النص .

ومن أمثلة الجناس ايضاً جوابه عن سؤال محمد بن عيسى في الحركة والانتقال إذ كتبَ له عليه السلام ((علمُ ذلك عنده وهو المقدرُ له بما هو احسن تقديراً، واعلم أنَّهُ اذا كان في السّماء الدنيا فهو كما هو على العرش، والأشياء كلها له سواء، علماً وقدرةً ومُلكاً وإحاطة)).[٩]

نلاحظ حركة الدوال المتجانسة اشتقاقيا تتحرك بانسيابية عالية منذ مفتتح الرسالة في لفظة (المقدر، تقديراً، قدرة) ووصولاً الى عرضها، وهذا التنوع في استعمال الجناسات يثرى الايقاعي الصوتي الذي يؤدي الى تقرير وتثبيت الدلالة، وهنا تتضح وظيفة الجناس الصوتية في التجاوب والموسيقى- الايقاعي من تماثل تطرب له الأذن ويونق النفس ويهزّ اوتار القلوب[١٠] وبذلك يثير المتلقي ويستهويه ويرغبّه في الجواب الذي سأل عنه، وبذلك عبرّت الألفاظ المتجانسة عن الدلالات المقصودة.

المحور الثاني : التكرار

يُعدُّ التكرار من أهم السمات الأسلوبية في اللُّغة الأدبية إذ عُرّف: ((تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث يشكلُّ نغماً موسيقياً يقتصده الناظم في شعرِهِ ونثرِهِ)).[١١]

وتُعد بنية التكرار من البنى الإيقاعية والأسس الأسلوبية التي تعمل على تعميق الدلالة في النصّ الأدبي، بوظيفته المزدوجة التي تجمع بين الوظيفة الفنية والوظيفة النفسية فضلاً عن وظيفته الصوتية الناتجة من تكرار أصوات اللفظة نفسها.[١٢]

ويمكن القول ان للتكرار وظيفة أسلوبية- ايقاعية تخدم النظام الداخلي للنصّ الأدبي وذلك باستثمار الطاقة الصوتية المتولدة من الصوت في صناعة الايقاع، والايحاء بالدلالة، وذلك يستطيع الكاتب أن يعيد صياغة بعض الصور من جهة، ويعمق الدلالة الايحائية للنصّ من جهة أخرى.[١٣]

وقد برزت ظاهرة التكرار واضحة في أقوال الإمام الهادي عليه السلام إذ كان يرمي باستعماله تعزيز المعنى، وتقريره في نفس المتلقي والتفاعل مع مقصدية المتكلم، فضلاً عن الايقاع النغمي الذي يؤديه التكرار في بنية النصّ.

يعد التكرار اللفظي من السمات الاسلوبية الواضحة والمهمة التي وظفها الإمام الهادي عليه السلام في مكاتباته، وتكرار اللفظ يعني ((أن يتم إعادة كلمة فأكثر باللفظ والمعنى، إما للتوكيد، او لزيادة البنيه والتهويل، أو للتعظيم، او للتلذذ بذكر المكرر)).[١٤]

وتأتي اهمية هذا النوع من التكرار من أنه يسهم في إشاعة الفكرة التي يريد الكاتب ان يوصلها للمتلقي، او تجذب انتباه، فالكاتب يتخذ من اللفظة المكررة وسيلة

أسلوبية تثري الموقف وتشحذ شعور المتلقي حدّ الامتلاء.[١٥]

وقد اسهمت بنية التكرار اللفظي في تألف قسم كبير من مكاتبات الإمام الهادي عليه السلام، فمن ذلك ما جاء في التوحيد قوله عليه السلام:

((لم يزلْ عالماً بالأشياء، قبل أن يخلق الاشياء، كعلمِهِ بالأشياء بعد ما خلق الاشياء)).[١٦]

نلحظ في هذا النصّ ترديد الدوال في توزيعات منتظمة بين فقرات النصّ، ففي كل مقطع تتكرر لفظة ((الاشياء)) متوزعة بنحو لافت مشكلاً منها الإمام(عليه السلام) لازمة ضرورية تسهم في الكشف عما يضمره النص من رؤى وانفعالات نفسية تجاه المخاطب فللتكرار قيمة دلالية وصوتية، لأنه يتصل ((بالاطار الصوتي الذي يمثل الوحدة الدلالية الدنيا، وفي اللفظ تبدأ عملية التفاعل بين الدلالة اللغوية والدلالة السياقية)).[١٧]

ومما ورَدَ من أمثلة التكرار اللفظي في مكاتبات الإمام جوابه حين سأله محمد بن مصعب المدائني في جواز السجود على الزجاج، فأجابه الإمام علي الهادي عليه السلام: ((لا تسجد وإن حدثتك نَفسُكَ، انه مما أَنبتَتِ الأرضُ فإنه من الرَّمل والملح، والملح سبخٌ، والرمل سبخٌ والسبخ بلدٌ ممسوخ)).[١٨]

تكررت لفظتا ((الرمل والملح)) في النصّ تكرارًا أفقيًا لتعطي ايحاءً واضحاً بشرعية حضورها، وفي هذا التكرار التراكمي دلالة واضحة في تأكيد إظهار المعاني المطروحة في النصّ بشكل يُجلي قيمتها الاسلوبية فتكرار لفظة (الرمل والملح) يشتمل على قيمة ايقاعية ودلالية في آنٍ واحد لتحريم السجود على الزجاج، اذ ينتج عن تكرار اللفظة قيمة ايقاعية فضلاً عن كون تكرار اللفظة نفسها يشير الى الكلمة المفتاح التي لها ثقل

تكراري وتوزيعي في النصّ بما يفتح مغاليقه ويبدد غموضه.[١٩]

ومن امثلة التكرار اللفظي ايضاً، ما كتبه الإمام عليه السلام في الصلاة:

((اذا زالتِ الشمس فصلَّ سُبحتَكَ، وأحبُّ ان يكون فَراغُكَ من الفريضة، والشمس على قدمين، ثم صلَّ سُبَحَتَكَ وأحبُّ أن يكون فراغَك من العصر، والشمس على اربعة اقدام فإن عجَّل بك أمرٌ فابدأ بالفريضتين، واقض النافلة بعدهما، فإذا اطلع الفجر فصلَّ الفريضة ثم اقضِ ما شئت)).[٢٠]

لقد جعل الإمام عليه السلام من تكرار اللازمة (الشمس) نمطاً ومنبهاً اسلوبياً منذ مفتتح النصّ، ثم كررها مرتين في النصّ ليشكل منها بؤرة مركزية مصدراً ومنبهاً اسلوبيا وهذا الالحاح في حقيقتهِ هو مفتاح الفكرة المتسلطة على النص وهي ((الكلمة التي تردد لدى كاتب معين بشكل يدلُّ على أن لها رنيناً خاصاً عنده، ولها بالتالي قوة خلاقة أشد فاعلية من الاستعمال العادي)).[٣١] وهذا مما يثري الجانب الايقاعي للنصّ ويقيم علاقات دلالية بين اجزائه بما يحفز المتلقي على الاستجابة والتفاعل مع مقصدية الإمام عليه السلام

ومثل ذلك ايضاً قول الإمام عليه السلام في كتابه الى علي بن الرّيان في سؤاله عن الصلاة ووقتها:

((يصليها اذا كان على هذه الصفةِ عند قصرة النجوم، والمغرب عند اشتباكها، وبياض مغيب الشمسِ قصرة النجوم الى بيانها)).[٢٢]

ان لتكرار اللازمة في النص المتقدم تأثيراً دلالياً وايقاعياً في بنية النصّ، اذ تقوم هذه اللازمة بوظيفة مهمة في اعطاء هندسة النص الايقاعية شكلاً مميزاً يتوافق مع وقت

الصلاة في (قصر النجوم) مما يترك في نفس المتلقي إحساساً عميقاً وأثراً فاعلاً الى خاتمة النصّ، وهذا ما يوفر جمالية خاصة للتعبير النثري.

المحور الثالث: التضاد

يعدُّ التضاد بنية أسلوبية فاعلة لصناعة عنصر الإدهاش والمفاجأة في النصّ الأدبي إيحاءً ودلالةً، اذ له أثر عميق في تعضيد المعنى واثرائه، فهو يعزز الدلالة من طريق: ((تقاطع الدوال بالمدلولات والمزج بين المتنافرات وصهرها في كيان واحد يعانق فيها الشيء نقيضه فيتفاعلان في سياق دلالي بطبيعة التنافر)).[٢٣]

فقيمة التضاد الاسلوبية تكمن في نظام العلاقات الذي يبين العنصرين المتقابلين، ويكون بينهما موضع التبادل او التنافر، الذي لا ينحصر في التباين الدلالي فحسب، وانما يكسب الألفاظ ايضاً بُعداً إيقاعياً لإنتاج جوّ خاص ومتميز لإِحداث الاقناع في المتلقي.

وعلى هذه لن يكون للتضاد أي تأثير مالم يتداع في توال لغوي وفي مثل هذه الحال تنتمي الألفاظ المتضادة الى فئة واحدة لكنها تعارض في دلالاتها ويكون التعارض بين لفظ موجود وفعل آخر موجود بالقوة، ولعله يكون أيضاً بين لفظ معين والسياق الذي وَرَدَ فيه، فالسمات المتعارضة تقوم في الاحوال كلها على محور واحد يحتل فيه احد الالفاظ طرفه الأول والآخر طرفه الثاني.

لذا قيل ان التضاد هو ((ضربٌ من الانزياح في مسارات بناء النصّ بين المعياري المألوف وغير المألوف)).[٢٤] لتحقيق جو من التناقضات والثنائيات الضدية التي

ترتبط بالموقف الفكري والوجداني الذي يرمي إليه الأديب ويعززه فمن أمثلة ما جاء من المتضادات في أقوال الإمام علي الهادي﵇قوله في قراءة القرآن الكريم: ((لا تدع من القرآن قصيره وطويله، ويجزئُكَ من قراءة إنا انزلناه يومك وليلتك مئة مرة)).(٢٥)

فأسلوب التضاد فعّال في اتجاهه الوظيفي، وهو سلطة مؤثرة على النصّ وتحمل المتلقي على استنطاق الخطاب بقراءات متعددة وصولاً الى استرداد المقاصد في (قصيرة، وطويلة) فهذه الألفاظ المتضادة انتجت ثراءً دلالياً استغنى فيه الكاتب عن التفصيل والإِطالة، وبهذا أسهم التضاد اسهاماً فعّالاً في انتاج دلالة ذات أبعاد عميقة.

ومن الامثلة على ذلك ايضاً قوله﵇ في الإفطار والصوم: ((اليقين لا يدخل فيه الشكُ، صُمّ للرؤية وأفطر للرؤية)).(٢٦)

النصّ يقوم هنا حول بؤرة دلالية أساسية هي التهيؤ والاستعداد للصوم عند رؤية الهلال او الافطار، فبنية التضاد عملت على التعبير عن مقصدية الإمام وكثفت الدلالة، اذ غالباً ما يأتي التضاد في خدمة المعنى، فالمتتبع لهذه الثنائيات يلاحظ ان كل ثنائية يرتبط طرفاها ارتباطاً تلازمياً بحيث ان ذكر الطرف الأول ذُكرَ الثاني، فانبثاق الدلالة واضح عبر تلك الثنائيات التي اسهمت في جعل الدلالة أكثر عمقاً.(٢٧)

فغالباً ما يأتي التضاد ليعزز الدلالة في النصّ اذ يكون بين شيئين يتضادان في الظاهر ويتلقيان في العمق، الأمر الذي أكسب النصّ ثراءً اسلوبياً ودلالياً.

أسلوب التضاد كثيرة في بنية أقوال الإمام علي الهادي عليه السلام قوله: عليه السلام ((انه يوالينا بظاهرهِ، ويُجانُبنا بباطنِهِ، الدعاء لمن يدعو به، اذا أخلصت في طاعة الله، واعترفت برسول الله صلى الله عليه وآله وبحقنا أهل البيت وسألتَ الله (تبارك وتعالى) شيئاً لم يحَرمك)).(٢٨)

ان انبثاق السياق الأسلوبي بفعل المقابلة بين الثنائيات الضدية في الألفاظ المتضادة (الباطنة والظاهرة) كشفت عن طاقة ايحائية تتضمن معنى الولاء والطاعة لله وحده والحب والوفاء لأهل البيت عليهم السلام وطاعة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله، فجاءت تلك الدوال المتضادة المتنافرة لتجسيد ذلك المعنى الذي قصده الإمام عليه السلام، فتناقض هذه الدوال في التراكيب يحقق في النهاية نوعاً من التناسب؛ لأن هذه الازواج المتضادة تنساق الى غاية واحدة، هي ما أراده وقصده الإمام في تجسيد شعور الولاء والحب والاخلاص لله ولأهل بيته الكرام عليهم السلام وحديثه عليه السلام في صلاة القصر والصلاة التمام، اذ يقول عليه السلام: ((اذا زالت الشمس فقد دخل وقت الصلاتين وبين يديها سُبحة، وهي ثماني ركعات، فإن شئت طوّلت، وإن شئت قصّرت، ثم صلّ صلاة الظهر، فإذا فرغت كان بين الظهر والعصر، سُبحة وهي ثماني ركعات، ان شئت طوّلت، وان شئت قصّرت، ثم صَلَّ العصر)).(٢٩)

فالإمام علي الهادي عليه السلام نزع الى خلق انسجام واضح بين طرفي التضاد في الثنائيات المتقدمة، فبنية التضاد الواردة في النصّ حشدت ايقاعاً ودلالة تمحورت حول ثيمة النصّ التي استطاع التضاد عبرها النهوض بمهمة التعبير عن المعنى الذي أراده الكاتب، فهذا الحشد للثنائيات الضدية حقق ثراءً دلالياً وايقاعياً.

المحور الرابع: التوازي

للتوازي أثر كبير في آفاق الدراسات الاسلوبية فهو يكشفُ عن البنية المسؤولة عن توزيع العناصر اللغوية والفنية والدلالية داخل العمل الفني سواء أكان شعراً أم نثراً.

وعُرّف التوازي في الدراسات النقدية الحديثة انه: ((تماثل قائم بين طرفين من السلسلة اللغوية نفسها، وان هذين الطرفين عبارة عن جملتين لهما نفس البنية، بحيث يكون بينهما علاقة متينة إما على اساس المشابهة، او على اساس التضاد)).[٣٠]

والتوازي من المقومات الاسلوبية التي تنشأ نتيجة ترديد وحدات صوتية متساوقة في النصِّ فيمنحه نمطاً خاصاً من الايقاع يتجلى في نسق من التناسبات المستمرة على مستويات متعددة منها: مستوى تنظيم البنى التركيبية وترتيبها، ومستوى تنظيم الأشكال والمقولات النحوية وترتيبها، ومستوى تنظيم الترادفات المعجمية، ومستوى الأصوات والهياكل التطريزية وترتيبها.[٣١]

ويمكن القول إن التوازي مكون اسلوبي يعمل على تنسيق العلاقات الداخلية للنصّ الأدبي بدءاً من العلاقات التركيبية ووصولاً الى الايقاع، وبهذا يجذب انتباه القارئ او المتلقي ضمن انماط معينة من التماثلات الصوتية والتركيبية والدلالية المكوّنة لنسيج النصّ ضمن حالة تعادلية او توازنية بين الثابت والمتحول.

ولعل من ابرز امثلة التوازي ما ورَدَ في أقوال الإمام الهادي عليه السلام ((لم يزل موجوداً، ثم كوّن ما أرادَ، لا رادّ لقضائِهِ ولا معقب لحكمِهِ، تاهت أوهام المتوهمين، وقصر طرف

الطارفين، وتلاشت أوصاف الواصفين واضمحلت أقاويل المبطلين عن الدرك، لعجيب شأنه،...)).[٣٢]

فقد بُني النصّ على نمط من العلاقات التركيبية المتوازنة عكست نسقاً بنائياً قائماً على ترديد البنية التركيبية الموحدة، وعبرها استطاع الإمام عليه السلام ابراز مجموعة من الصفات الإلهية؛ ولذا اسهمت بنية التوازي في تثبيت هذه الصفات والمعاني وايصالها الى المتلقي بطريقة نحوية- صرفية متقابلة؛ لذا قيل إن التوازي هو ((شكل من اشكال التنظيم النحوي يتمثل في تقسيم الحيز النحوي على عناصر متشابهة في الطول والنغمة والبناء النحوي، فالكل يتوزع في عناصر او اجزاء ترتبط نحوياً وايقاعياً فيما بينهما)).[٣٣]

ويمكن ايضاح ذلك عبر المخطط الآتي

لا رادّ لقضائِهِ // لا معقب لحكمِهِ

تاهت اوهام المتوهمين

↓ ↓ ↓

قَصُرَ طرف الطارفين

↓ ↓ ↓

تلاشت أوصاف الواصفين

↓ ↓ ↓

أضمحلت أقاويل المبطلين

ولعلّ من أبرز الامثلة على ذلك ايضاً قولهعليه السلام : ((اذا غابَ صاحبكم عن دار الظالمين فتوقعوا الفرج اذا رُفِعَ عِلمُكم من بين اظهركم فتوقعوا الفرج)).[٣٤]

ان التوازي قائم في هذا النصّ بين ركنين متوازنين يستندان الى صورتين متوازنتين، فتقنية التوازي المزدوج واضحة المعالم، اذ أنتج التوازي القائم بين زوجين ايقاعاً منتظماً تنطوي تحته صيغ نحوية وصرفية متوازية، فالإمامعليه السلام عمل عبر هذا الاجراء الاسلوبي على إبراز المعاني بشكل يعلي من قيمة الفرج ويبين عظيم قدره.

ففي النصّ المتقدم نسقان متوازيان يمكن ان يكشف عما بينهما من ناتج دلالي وموسيقي عبر الخطاطة الآتية:

إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقعوا الفرج

فعل الشرط+ حرف الجر+ الجار والمجرور+ جواب الشرط

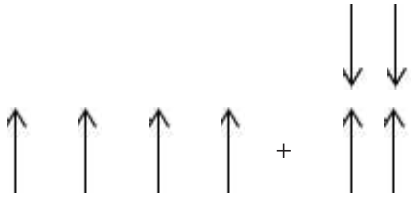

اذا رُفعَ علمكم من بين أظهركم فتوقعوا الفرج

فعل الشرط+ حرف الجر+ المجرور+ جواب الشرط

المحور الخامس: أسلوب الأمر

الخطاب الأمري يستندُ الى الايعازات الاستدعائية التي يُطلقها المخاطِبُ تعبيراً عن الوظيفة الإفهامية والإدراكية (الطلبية) التي تمنحه طاقة وهيأة تأثيرية، يخضعُ لها المُخاَطب بوصفِهِ المحور الثاني والمستجيب قولاً وفعلاً للإيعازات الصادرة من المخاطِب الذي يمثل المحور الأوّل في الانبعاث الدلالي، وبذلك يتأصل الخطاب الامري بعقد آصرة تواصلية بين المُخاطِب والمُخاطب بحيث يشترط في العنصر الثاني الوجود الحضوري لإتمام الحلقة الحوارية التخاطبية مما يعينُ على فهم العلاقات الأكثر عمومية بين الطرفين.[٣٥]

ومن هنا عُرف الامر؛ بانه: ((صيغة تستدعي الفعل، أو قول يُنبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء)).[٣٦]

والأصل في الأمر ان يأتي في الجملة لطلب الفعل على سبيل الايجاب وقد يأتي لدلالات أخر على سبيل المجاز تفهم من السياق، وتبعاً لذلك يتحقق شرط التواصل في (الخطاب الامري) بين الباث والمتلقي وهذا يتوقف على معرفة سياق الحال والاحداث والمواقف التي تحيط بالنصّ.

ولقد ورَدَت صيغة فعل الامر بكثرة في بنية اقوال الإمام الهادي عليه السلام فشكلت مهيمناً اسلوبياً بارزاً.

فمن امثلة الافعال الأمرية التي وردت في اقوال الإمام الهادي عليه السلام قوله عليه السلام: في كتابه الى داود بن فرقد الفارسي((ما علمتُم أنَّهُ قولنا فالزمُوهُ، ومالم تعلموا فردوه إلينا[٣٧]

لقد وظّف الإمام الهادي عليه السلام في هذا النصّ القصير فعلين من أفعال الامر (فالزموه) (فردوه) ليوجه اوامره الى شيعته في الالتزام بكلام اهل البيت عليهم السلام لأنهم القرآن الناطق وخليفة الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله رسول الرسالة الانسانية وهذه أوامر حقيقية

الا انها منحت النصّ دلالة تأكيدية في وجوب الالتزام والطاعة.

فمن ذلك ايضاً جوابه لمحمد بن الفرج، اذ كتب عليه السلام ((اذا اردتَ ان تسأل مسألةً فاكتبها، وضَع الكتاب تحت مُصَّلاك ودعه ساعةً ثم اخرجه وانظر فيه، قال ففعلتُ، فوجدتُ جواب ما سألت عنه موقعاً فيه)).[٣٨]

لقد تألف النصّ من سلسلة من الافعال الأمرية الصريحة في (اكتبها، ضع، دعه، اخرجه، انظر) فهذه الافعال مثّلت سلسلة من الترابطات النسقية افصحت عن دلالات واحداث مطابقة لمتطلبات الموقف بما يوحي باستكناه البنية العميقة

للأسلوب تأثيراً وايحاءً، فالسياق النصيّ لبنية الأمر تنهض عبر التوظيف المكثف لأفعال الأمر التي تمتد على صعيد النصّ وموجهة الى متعلق مأمور وجب عليه تنفيذ الاوامر.

ومن الاوامر التي وجدت في نصوص الإمام الهادي عليه السلام: قوله ((اذا زالت الشمس فصلَّ سُبحَتَكَ، وأحبُّ ان يكون فَرَاغُكَ من الفريضة، والشمس على قدمين، ثَمْ صَلْ سُبحَتَك، وأحبّ ان يكون فراغك من العصر والشمس على اربعة اقدام، فإنْ عجّل بك أمرٌ فابدأ بالفريضتين واقض النافلة بعدهما، فإذا طلع الفجرُ فصلّ الفريضة ثم اقضِ ما شئت)).[٣٩]

لقد شكلت أفعال الأمر رابطاً صميماً عدل به الإمام عليه السلام الى دور توجيهي في إطار الوعظ تنضوي تحته كثير من الدلالات التي يسعى الإمام الى تحقيقها، فان دلالة الطلب في النصّ تتحرك في مجال الوظيفة الانفعالية وتتجه بؤرتها نحو المخاطب مع حضور المتلقي المباشر في الدائرة الدلالية.

وقد تأتي صيغة الأمر بالأفعال الأمرية الضمنية فمن ذلك قول الإمام عليه السلام((عليك أن تخرج عن نفسك صاعاً بصاع النبي صلى الله عليه وآله وعن عيالك ايضاً، لا ينبغي لك، ان تعطي زكاتك إلاّ مؤمناً)).[٤٠]

ويمكن القول إن التنوع في صيغ الأمر أسهم في توسيع ميدان التصور الموظف لتحقيق التوافق بين هذه التراكيب وآثارها الدلالية المعبرة عن فكرة النصّ في حمل المتلقي على استشعار المسؤولية والطاعة لتلك الاوامر في وجوب اعطاء الزكاة الا لمستحقيها عبر صيغة الامر ((عليك)).

الخاتمة

مثّلت أقوال الإمام الهادي ﷺ أسلوبا رصينا مائزا لاحتفائه بالأساليب البلاغية المتنوعة الهادفة لإصلاح المجتمع عبر تلك الرسائل الدينية ذات الأساليب المائزة بالنصح والإرشاد والتوجيه وقول الحق والابتعاد عن الباطل وأهله، ومن تلك السمات التي انماز بها أسلوب كلامه ﷺ هو التجنيس الصوتي بوصفه أحد عناصر الايقاع المؤثرة في المتلقي واستجلاء المعنى، وقد برز التجنيس الاشتقاقي بكثرة حضوره ليكون اسلوبا مهيمنا في بنية أقواله ﷺ.

ومثّل أسلوب التكرار ملمحا بارزا اذ عمل على تنسيق العلاقات الداخلية للمعنى المطلوب ايصاله وما تولد منه دلالات عميقة اسهمت في اضفاء الايحاءات المؤثرة في المتلقين.

ومثل محور التوازي نمطا أسلوبيا مائزا في اقوال الإمام علي الهادي ﷺ ضمن انماط معينة من التماثلات الصوتية والتركيبية والدلالية المكونة لنسيج النص ومثلا الافعال الأمرية بنية مركزية مهمة في بث أفكار الإمام ﷺ فأسهمت في توسيع أفق التصور عند المتلقين وحملهم على استشعار المسؤولية والطاعة لتلك الأوامر الصادرة من أمام معصوم.

الهوامش:

١-ينظر جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم:١٣٧.

٢- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر): ٣٣، ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ١/ ٢٥٧، حسن التوسل الى صناعة الترسل: ١٨٣-١٨٤.

٣- ينظر البلاغة العربية- قراءة اخرى- ٣٧٢- ٣٧٣.

٤- ينظر قراءات أسلوبية في الشعر الحديث: ٦٨.

٥- مكاتيب الامامين علي الهادي والحسن العسكري: ج٦، ص٤٤.

٦- مكاتيب الامامين علي الهادي والحسن العسكري: ج٦، ١٥-١٦.

٧- ينظر آليات الشعرية بين التأصيل والتحديث: ٣٥٥.

٨- ينظر مكاتيب الامامين علي الهادي والحسن العسكري: ج٦، ص٢٠.

٩- ينظر جوهر الكنز (مختصر كتاب البراعة في أدوات ذي اليراعة: ٩١.

١٠-جرس الالفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: ٢٣٩.

١١-ينظر البنيات الاسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث: ١٧٢.

١٢-ينظر مقالات في الاسلوبية: ٨٣.

١٣-انوار الربيع في انواع البديع: ٥/ ٣٤٥، التكرير بين المثير والتأثير: ١١٤.

١٤-ينظر اسلوب التكرار بين تنظير البلاغيين وابداع الشعراء، مجلة ابداع، مج٢، العدد٥، السنة ١٩٨٤: ص١٥.

١٥-مكاتيب الائمة الامامين علي الهادي والحسن العسكري: ج٦// ١٤.

١٦-خصائص الاسلوب في الشوقيات: ٧٣٢.

١٧-ينظر مكاتيب الائمة الامامين علي الهادي والحسن العسكري: ج٦، ص٦٥.

١٨-الاسلوبية علم وتاريخ: مجلة فصول: مج١، ع٢، ١٩٨١، ١٤٠.

١٩-ينظر مكاتيب الائمة الامامين علي الهادي والحسن العسكري: ٦٦، ٨٥.

٢٠-التحليل الالسني للأدب: ١٤٥.

٢١-ينظر مكاتيب الائمة الامامين علي الهادي والحسن العسكري: ج٦، ٨٧.

٢٢-الشعر المعاصر في موريتانيا: ١٤٠.

٢٣-استراتيجية التضاد وعلاقتها بالنزعة الصوفية في شعر عبد الله العشي، مجلة المخبر، ابحاث في اللغة والادب الجزائري، العدد السابع لسنة ٢٠١١م، ٢٦٨.

٢٤-مكاتيب الائمة ﷺ الامامين علي الهادي والحسن العسكري: ج٣: ٢١٨.

٢٥-مكاتيب الائمة ﷺالامامين علي الهادي والحسن العسكري: ج٣: ٢١١٧.

٢٦-الاسلام والأدب: ١٥٨.

٢٧-مكاتيب الائمة ﷺ الامامين علي الهادي والحسن العسكري: ج٣: ٢٤٩.

٢٨-مكاتيب الائمة ﷺ الامامين علي الهادي والحسن العسكري: ج٣: ٨٦.

٢٩-شعرية القصيدة العربية المعاصرة (دراسة أسلوبية): ١٤٤.

٣٠-قضايا الشعرية: ١٠٦.

٣١-مكاتيب الائمة ﷺ الامامين علي الهادي والحسن العسكري: ج٣: ١٥.

٣٢-نظرية اللغة الأدبية: ٢٠١.

٣٣-مكاتيب الائمة ﷺ الامامين علي الهادي والحسن العسكري(عليهم السلام): ج٣: ٥٥-٥٧.

٣٤-نظرية اللغة الأدبية: ٢٠١.

٣٥-ينظر المقاربة التداولية: ١٢، اللغة في إِطار الاجتماعي: ٢٣١.

٣٦-الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ٥٣١.

٣٧-ينظر مكاتيب الائمة ﷺ الامامين علي الهادي والحسن العسكري(عليهم السلام): ٦/ ٧٧.

٣٨-مكاتيب الائمة ﷺ الامامين علي الهادي والحسن العسكري(عليهم السلام): ٦/ ٧٣.

٣٩-مكاتيب الائمة ﷺ الامامين علي الهادي والحسن العسكري(عليهم السلام): ٦/ ٨٥.

٤٠-مكاتيب الائمة ﷺ الامامين علي الهادي والحسن العسكري(عليهم السلام): ٦/ ١٠٧.

قائمة المصادر والمراجع:-

*الاستبصار فيما اختلف من الاخبار ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق الشيخ محمد جواد ،الناشر دار الأضواء.

*استراتيجية التضاد وعلاقتها بالنزعة الصوفية في شعر عبد الله العيشي، لخميسي شرفي، مجلة المخبر، ابحاث في اللغة والادب الجزائري، العدد السابع، ٢٠١١م

* الاسلام والأدب: د. محمود البستاني، ط١، المكتبة الادبية المختصة، قم ايران، ١٤٢٢، ٢٠٠١م.

*الاسلوبية علم وتاريخ، فيتورمانويل، ترجمة سليمان العطار، مجلة فصول، المجلد، العدد٢، يناير، ١٩٨١.

*آليات الشعرية بين التأصيل والتحديث مقاربة تشريحية لرسائل ابن زيدون (ت ٤٦٣) د. حميد حماموشي ط١، عالم الكتب الحديثة، اربد، الاردن، ٢٠١٣م.

*انوار الربيع في انواع البديع: السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ) حققه وترجم لشعرائه، شاكر هادي شكر، ط١، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.

* البلاغة العربية (قراءة اخرى): محمد عبد المطلب، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، دار نوبار للطباعة القاهرة، ١٩٩٧.

*البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، مصطفى السعدني، مطابع رواي للإعلان الاسكندرية، ١٩٨٧.

*لتحليل الالسني للأدب: محمد عزام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سورية، ١٩٩٤م.

*التكرير بين المثير والتأثير: عز الدين علي السيد، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦.

*تهذيب الاحكام: ج٣/ ٣٠٣.

*جدلية الافراد والتركيب في النقد العربي القديم د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٥.

*جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب د. ماهر مهدي هلال، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠.

❁جوهر الكنز (مختصر كتاب البراعة في ادوات ذوي اليراعة) نجم الدين بن الاثير الحلبي (ت٧٣٧ه) تحقيق السيد محمد السيد عثمان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣٢ه-٢٠١٢م.

❁ حسن التوسل الى صناعة الترسل: شهاب الدين محمود الحلبي (ت٧٢٥هـ) تحقيق ودراسة: اكرم عثمان يوسف: وزارة الثقافة والاعلام دار الرشيد سلسلة كتب التراث (٨٦) بغداد، ١٩٨٠.

❁خصائص الاسلوب في الشوقيات، محمد هادي الطرابلسي مشنورات، الجامعة التونسية، ١٩٨١م.

❁شعرية القصيدة العربية المعاصرة (دراسة اسلوبية) د. محمد العيشي كنوني، ط١، عالم الكتب الحديثة- اربد الأردن، ١٤٣١ه-٢٠١٠م.

❁في المناقب: لابن شهرآشوب: ج٤/ ٤٠١.

❁ قراءات اسلوبية في الشعر الحديث: د. محمد عبد المطلب الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥.

❁ كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، ابو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل (ت٣٩٥هـ) تحقيق: علي البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم/ ط٢، دار الفكر العربي: د.ت

❁كشف الغمة:ابو الحسن علي بن عيسى بن الفتح الاربلي ،دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان ط٢ ،١٩٨٥.

❁المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الاثير ت٦٣٧ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية، صيدا- بيروت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

❁المقاربة التداولية، فرانسوازارمينكو، ترجمة: د. سعيد علوش، مركز الانماء القومي، الرباط، ١٩٨٦.

❁مقالات في الاسلوبية دراسة: منذر عياشي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ١٩٩١.

❁مكاتيب الائمةمكاتيب الامام علي بن محمد الهادي عليه السلام والامام الحسن بن علي العسكري عليه السلام علي الاحمدي الميانجي تحقيق ومراجعة مجتبى الفرجي مؤسسة دار الحديث العلمية.